

روح المعاني

للكفرة وقيل : لجميع الناس وقيل : للمؤمنين والظاهر الأول والالتفات لما في مواجهتهم بضعف حالهم من التبكيت ما لا يخفى وقيل : ليتضح مرجع الضميرين ولا يشتبه من أول الأمر وهي نكتة من الالتفات لم يعرج عليها أهل المعاني .

وأرسلنا السماء أي المطر كما روي عن هرون التيمي ونسب إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا وقيل : السحاب واستعمالها في ذلك مجاز مرسل وقيل : هي على حقيقتها بمعنى المطلة والمجاز في إسناد الإرسال إليها لأن المرسل ماء المطر وهي مبدأ له وفيه من المبالغة ما لا يخفى والإرسال والانزال كما في البحر متقاربان في المعنى لأن اشتقاقه من رسل اللبن وهو ما ينزل من الصرع متابعا عليهم مدرارا أي غزيرا كثير الصب وهو صيغة مبالغة يستوي في المذكر والمؤنث وهو حال من السماء والطرف متعلق بأرسلنا وجعلنا الأنهار أي صيرناها تجري من تحتهم أي من تحت مساكنهم والمراد أنهم عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار والجملة في موضع المفعول الثاني لجعلنا ولم يقل سبحانه : أجرنا الأنهار كما قال عز شأنه : أرسلنا السماء للايذان بكونها مسخرة مستمرة الجريان لا لأن النهر لا يكون إلا جاريا فلا يفيد الكلام لأن النظم حينئذ ناظر إلى كونه من تحتهم فالفائدة ظاهرة ولو كان ما ذكر صحيحا لما ورد في النظم الكريم كقوله تعالى : تجري من تحتها الأنهار واستظهر كون الجعل بمعنى الانشاء والايجاد وهو مخصوص به تعالى فلذا غير الأسلوب وعليه فالجملة في موضع الحال من المفعول وليس المراد على ما قيل بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع أسباب نيل المآرب ومبادئ الأمن من المكارة والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا وينبئ عن عدم الاغناء عند جمهور المفسرين .

قوله تعالى : فأهلكناهم بذنوبهم والفاء للتعقيب وقيل : فصيحة والمراد فكفروا فأهلكناهم ورجع الأول والباء للسببية أي أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب كتكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنشأ أي أوجدنا من بعدهم أي بعد أهلكهم بسبب ذلك قرناء آخرين .

6 .

- بدلا من الهالكين وهذا بيان لأنه تعالى لا يتعاطمه أن يهلك قرنا ويخلي بلاده منهم جل جلاله قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم البلاد فهو كالتتميم لما قبله نحو قوله تعالى : ولا يخاف عقباها وفيه إشارة إلى أنهم قلعوا من أصلهم ولم يبق أحد من نسلهم

لجعلهم آخرين وكونهم من بعدهم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس استئناف سيق بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة إثر بيان ما هم فيه من غير ذلك .

وعن الكلبي : وغيره أنها نزلت في النصر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله تعالى ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وأنت رسوله والكتاب المكتوب والجار بعده متعلق بمحذوف وقع صفة له أو متعلق به وقيل : إن جعل اسما كالامام فالجار في موضع الصفة له وإن جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق به